

ضاغط العولمة وتمثلاتها في النتاج الخزفي المعاصر

م.د. احمد عودة نايف

معهد الفنون الجميلة

Xahmed_12@yahoo.com

الملخص:

تناول هذا البحث دراسة ضاغط العولمة وتمثلاتها في النتاج الخزفي المعاصر ، وجاءت الدراسة من ثلاث فصول ، مثلت المقدمة تلخيص منهجي كامل ، في الاطار العام للبحث ، والمتضمن بالمقدمة التي لخصت تداعيات ظاهرة العولمة وتمثلاتها في الخزف المعاصر ، والتي وضعت فرضية المشكلة ، العولمة واقعة وظاهرة اثرت وتدخلت في مجالات الحياة المختلفة ومنها الفنون وفن الخزف على نحو خاص فما التمثلات العولمية التي يمكن كشفها في النتاج الخزفي المعاصر ، مثلت طريق للإجابة عن تساؤلات طرحها الباحث ، كما تكمن أهمية البحث في عدها كشفاً تحليلياً لظاهرة اجتاحت العالم وتشكلت بأثرها صورة الفنون ومنها فن الخزف ويهدف البحث الى تفسير علاقة العولمة بفنون التشكيل ولاسيما الخزف الكشف عن التمثلات التي تحققت في النص الخزفي المعاصر من حيث الخامات البناء الشكلي واللوني وتأسيس للمفاهيم والمعاني وردت في البحث كلمات مفتاحية (العولمة ، الجيوبوليتك ، المناقفة ، الهوية ، السوق ، التداول)

Abstract

This research dealt with the study of the pressure of globalization and its representations in contemporary ceramic production. The study consisted of three chapters. The introduction represented a complete methodological summary, in the general framework of the research, and included in the introduction that summarized the repercussions of the phenomenon of globalization and its representations in contemporary ceramics, which put forward the hypothesis of the problem. Globalization is a reality and a phenomenon that has

affected and intervened in various areas of life, including the arts and ceramic art in particular. What are the global representations that can be revealed in contemporary ceramic production? It represented a way to answer the questions raised by the researcher. The importance of the research also lies in its being an analytical revelation of a phenomenon that has swept the world and shaped the image of the arts, including ceramic art. The research aims to explain the relationship of globalization with the arts of formation, especially ceramics, to reveal the representations that have been achieved in the contemporary ceramic text in terms of materials, formal and The .color construction, and to establish concepts and meanings research included the following keywords: (globalization, .geopolitics, acculturation, postmodernism, market, trading)

مشكلة البحث

لاشك ان العولمة بدأت بتسارع مع الاجتياحات الاستعمارية التي انتجتها الحربين العالميتين او الكونيتين الأولى والثانية وبتسارعها وصلت الى اوج تأثيرها واثرها في العالم مع ثمانينيات القرن، وهي مستمرة ليومنا هذا فما العولمة وما منطلقاتها وتفاعلاتها واثرها ومن ثم ما افعالها في الظواهر الإبداعية المختلفة ولاسيما الفنون وفنون التشكيل والخزف منها على نحو خاص، هذه الأسئلة تحتاج الى إجابة من وقائع الحدث المتمثل في النصوص الفنية الجمالية وبذلك فان تحقيق الإجابات المتداخلة في ضاغط العولمة وكيف تتمثل في نتاج فن الخزف المعاصر يمثل صورة المشكلة التي لا بد ان تكون ضمن دائرة الحل المعتمد على مرجعيات اكااديمية برؤية تحليلية نقدية متكاملة ، وبذلك فان مشكلة البحث تتطلق من التساؤل الاتي :العولمة واقعة وظاهرة اثرت وتدخلت في مجالات الحياة المختلفة ومنها الفنون وفن الخزف على نحو خاص فما التمثلات العولمية التي يمكن كشفها في النتاج الخزفي المعاصر ؟

اهمية البحث

يعد البحث كشفا تحليليا لظاهرة اجتاحت العالم وتشكلت بأثرها صورة الفنون ومنها فن الخزف وبذلك فان الأهمية تتطلق

أولاً: إجابة تفقيبية تحليلية ، فضلا عن تمظهرات وتمثلات هذه الظاهرة
ثانيا : البحث اكايمي منضبط باصول البحث العلمي ذو فائدة للباحثين على
مستوى الدراسات الأولية والعليا

هدف البحث :

يهدف البحث الى

أولاً: تفسير علاقة العولمة بفنون التشكيل ولاسيما الخزف
ثانيا :الكشف عن التمثلات التي تحققت في النص الخزفي المعاصر من حيث
الخامات البناء الشكلي واللوني وتأسيس للمفاهيم والمعاني

حدود البحث

الزمني : ٢٠٠٠-٢٠٢٠

المكاني :اوريا -امريكا

الموضوعي العولمة ودراساتها ومرجعياتها الفلسفية والنقدية

المبحث الاول -العولمة مرجعياتها التاريخية الفلسفية (الجيوپوليتيك)

ان معنى العولمة لم يرد في معاجم اللغة العربية نهائياً وهو يعتبر مصطلح حديث ،
علماً بأن جذرها اللغوي هو علم ومنه العالمون ، وهم من أصناف الخلق والعالم
(ناطورية ، ٢٠١١ ، ٩) ومن العالمون وهم من أصناف الخلق والعالم .

من قبل ما احتواه بطن الفلك ، وهو لفظ دال على جمع ولايوجد له مفرد من لفظه ،
ويجمع على وزن فاعلون وهي الكلمة الوحيدة على وزن فاعل ، التي تجمع على
فاعلون ، وكذلك فإن جمع عالم هو عوالم ، اما ما قاله وهب بن المنبه بأن الله
سبحانه وتعالى له الف عالم والذنيا من عالم واحد(ابن منظور ، ١٩٥٥ ، ١٣) .

اما تعريف العولمة اصطلاحاً فمن الصعوبة ان يتفق المفكرون على صياغة معينة
لها ، فقد عرفت بأنها نظام عالمي جديد قائم على العقل الالكتروني والثروة
المعلوماتية القائمة على المعلومات والابداع التقني غير المحدود دون الاخذ بعين

الاعتبار الحضارات والقيم الثقافية والأعراف والتقاليد والحدود الجغرافية والسياسة السائدة في العالم (أبو زعور، ١٩٩٨، ١٤)

- تتعرض مجتمعاتنا الحديثة في وقتنا المعاصر لتأثيرات واسعة في مجالات عدة متداخلة ، فمنها سياسية واقتصادية ثقافية ، وكان للفن بوجه عام والتشكيلي منه بوجه خاص ، الحصة الأكبر في اكتساب ذلك التأثير من قبل العولمة في تشكيلاته الفنية ، اذ اخذ هذا التسارع الملحوظ في والاجتياح المدمر والكاسح في تفاصيل مجريات العالم ، وقدم الفن نتاجاته الفنية ، بما يتلائم مع هذا التطور الحاصل والانقلابات التي حدثت في العالم ، وذلك لعوامل عدة تزامنت معاً لتشكل حالة جديدة تفتتح فيها اجزاء العالم بعضها على بعض ، وكأنها نظام واحد متشابك ، وتتمثل هذه العوامل في انتشار الشركات المتعددة ، وسهولة انتقال الأموال وتقليصها على الحركة التجارية الدولية والذي سترك بدوره تحولات عميقة على مستوى الحضاري الإنساني للشعوب كافة .

- ان العولمة تعتبر حركة ديناميكية ، وهي ظاهرة متكاملة الجوانب والابعاد في حقيقتها ومضمونها ، وان كانت بسيطة في الشكل الا انها معقدة للغاية في الحقيقة والمضمون ، وهو ان هذه المظاهر المركبة فرضت نفسها بشدة بالغة القسوة على مجريات الأمور وعلى اتجاهات الرأي العام والاجتهادات العالمية .

- أتضح ان العولمة ظاهرة قد نضجت بفعل مخاضات تفاعلية لمجموعة معطيات كان للتجارة واقتصاد السوق التواصلي والتداولي وتكنولوجيا الاتصال والمعلومات الأثر المهم في بزوغها على نحوٍ مهيم على الحياة الانسانية ولاسيما في العقود الاربعة او الخمس الاخيرة ، وهي حالة اندماج للجزيئات التي تمثل هويات الشعوب المختلفة في بودقة يمكن ان نسميها بالعالمية ، ان هذا الاندماج فيه اختلاف وتقييم يتبع رؤى انتمائية لا تخلو من ضاغظ ايدلوجي ، ومن اراد رفض العولمة وقيمها

الاستهلاكية انما يريد رفض العلم والتقنية الالكترونية الجديدة ومايرتبط من وسائل الاتصال والدعاية والاعلام والاعلان التي دخلت كل بيت لا من الابواب الخلفية فحسب ، بل ومن المداخل الرئيسية ، اذ نجد ان الكثير من هاجم العولمة ويتكأ على فكرة الهوية لمجتمعه او فكرة رصانة الهوية وادامتها ونجد بالمقابل من يدعو الى العولمة بوصفها صورة من صور التقدم والتطور الذي قدمته التكنولوجيا فما هي بنية هذين التصويرين وكيف نفهم العولمة بدون انتماء لضغط على فهمنا.(الحيدري،٢٠١٢، ٣٩٤)

- ان الوقوف ضد العولمة بدعواتٍ (راديكالية) تتسم بالانفعال والهتافية الاعلامية (بروبكندا) يعد متخلخلاً مقوضاً في ذاته بحكم المجانبه بمنطق العلم وبحثه وهي لاتتملك قوى ابعاد العولمة عن مجتمعاتها بل ان قوة العولمة اشتياحية لايمكن الوقوف ضدها بالكامل ان دعاة الرفض الراديكالي المنفعل بحجة الحفاظ على الهوية والشخصية الاجتماعية ..الخ من حجج مختلفة تبدو مع ما تتكأ عليه العولمة في التكنولوجيا وصناعة، وظواهر البرجماتية مختلفة اقوى كثيراً من امكانيه توقفها وصددها ولهذا بقى الخطاب الرفض ذوالنزعة الراديكالية خطاباً سلطوياً او دينياً بحثاً يعتمد المنطق السلفي بينما نجد خطابات اخرى ضمن هذه الدائرة المحافظة تستخدم العولمة وتستثمرها لتأكيد الهوية ويمكن ان نعد نتاجات الامارات العربية المتحدة والكثير من مشاريعها العولمة ذات نزعة مهمة في استثمار العولمة والعمل على تأكيد الهوية.

- ان فكرتنا تنطلق من عد العولمة ظاهرة اصبحت من حتميات الظواهر الحديثة علينا ان نتقبلها بما يحقق لنا مشاعر بالحفاظ على كيانا الداخلي وهويتنا بكل صفاتها المختلفة المادية والمعنوية.

- اما دعاة العولمة وهم قلة نادرة في مجتمعاتنا الشرقية بحكم (اسباب عديدة) تكمن بالمبالغة في جعلها خطراً مخيفاً يدمر نسيج المجتمع بحكم

تقويض المرجعيات والمقدسات والامر غير ذلك البتة الا اذا اراد البعض في اهدافهم هذا التقويض والتدمير .

- ان العولمة ظاهرة حتمية وموجودة ونتعامل معها يوميا ونفعلها بسلوكيات بعضها تسليح اقتصادي والاخر ثقافي تداولي كما ان فيها الكثير مما يتسرب الى منظومة التعليم والتعليم على مستوى الدراسات الاولية.

تُعد العولمة تحدياً ثقافياً غير مسبوق وتعد ذات طابع ارتقائي قائم على الاجتياح الثقافي ويوجد له عدة آليات:

١- انصهار ثقافة الدول الصغيرة نتيجة اجتياح الثقافة العالمية..

٢- الانقسام والتشردم الداخلي وظهور التصدعات الثقافية والحضارية وظهور الثقافة الوطنية..وتظهر فيها ثقافات متعولمة.

٣- ظهور روابط وجسور وأدوات تحليلية مهمتها الرئيسية ايجاد المعايير والقيم للعبور الى الثقافة العالمية والوصول بالفكر الثقافي العالمي الى ارجاء المعمورة.(ناظوري، ٢٠٠١، ٢١)

-ولانها حتمية لا بد لنا ان نتعامل معها بذكاء وحذر، ينطلق ذكاؤنا في كيفية استثمارها لتكون اداة ناجحة في تطورنا العلمي التكنولوجي والفني الجمالي او في تطوير الحياة لدعمها وبنائها واهم ما يحقق نجاح استثمارها هو الرفاه المجتمعي والعدالة في توزيع رأس المال او العدالة المجتمعية التي تقف ضد الفقر الذي يعد مرتعاً لكل السلبيات والموبقات التي تصيب المجتمعات وتكون العولمة تكون قد استثمر منها ما يدعم هذا السقوط الذي اساسه هذا الفقر على المستوى المادي ومن ثم تأثيره على مستويات مختلفة ان المجتمع الذي يعيش بمستوى من التوازن في الاقتصاد الاسري او توزيع رأس المال بعدالة يكون اكثر حصانة من انتشار ما نسميه بمساوى العولمة.

المبحث الثاني: اثر العولمة في الاداب والفنون (الأثر الفلسفي الأثر الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ، الأثر التكنو تواصلي)

العولمة في الفن وفن التشكيل على وفق منطق تاريخ الفن وفلسفته

ان فن التشكيل ظاهرة واكبت الانسان منذ الكهف الى يومنا هذا بل انه يعد فناً يمثل الانسان والانسانية بكليتهما في خصوصيات فن التشكيل ما يستدعي ان نقدمه قبل ان دخل في موضوعة العولمة وفن التشكيل واهمها ان نصفه بفن ام صناعة او ان منتجيه في العصور السحيقة الماضية ولا سيما في عصر الامبراطوريات الكبرى هل يعدون صناع ام فنانيين بمنطق الفن الذي نتعامل به الان وبيزغ لنا سؤال مشاكس آخر هل ان من نصفهم بالفنانين في العصر الحالي هم بحق ضمن هذه الصفات ام اصحاب مهنة ام صناعة اسمها الفن كما هو الحال اصحاب المهن والصناعات الاخرى.؟

ان الاجابة عن هذين السؤالين المشاكسين ينحصر في فهمنا في ماهية الفن والاجابة عليه تتمركز في منطقتين متخالفتين الى مستوى التباين الاولى مثالية (ميتافيزيقية) والثانية تجريبية أدائية وما بينهما يعد تفلسفاً له عيناته او مسندهاته لكن منطقتي التصارع تتحسر بين الميتافيزيقيا والفكر البرجماتي او نظرية نظريه الخبرة والتجربة والاداء.

-ان الميتافيزيقيا او نظرية المثال و المثل في كل اجزاؤها وتاريخها تؤمن ان الفن هبة السماء للإنسان وبذلك فان هذه الهبة لا بد ان يشوبها شيء من التصوف ونقصد بالتصوف الابتعاد عن مغريات الغريزة والحس والمادة فالفن المثالي يؤمن بالخصوصية وبالتسامي نحو عالم مفارق بحياتنا اليوميه متألقاً في ما لا يمكن ان يكون له صفات الحس والغريزة اما الاتجاه الآخر في منظومة المعرفة التي قدمته التجريبية ونظرية الخبرة والاداء ذات المنحى البرجماتي اذ تعد كل ظاهرة معرفية ماهي الا نتيجة للعمل والاداء والتجربة وتحكم وتتحكم بها اساس هذه النظرية (البرجماتية) هي برجماتية التي قدم لها بيرس وجيمس ودوي. (مولر ، ٢٠١٠، ٣٤٠)

-أزاء ما قدم فإن الرؤية الثانية لفهمنا للفن (الرؤية البرجماتية) تمثل الاكثر انسجاماً مع نظرية التواصل والاتصال او مع فكرة العولمة في الفن والجمال فالعولمة بنت البرجماتية بالكامل وتعتمد رؤيتها وفلسفتها لان في تصورهما ان النافع والموضوعي والمؤثر هو الانجح والافضل والدائم في الاستمرار.

أزاء ذلك نجد ان الفن في فلسفة التأريخ وعبر عصوره السحيقة الطويلة كان وظيفياً ادائياً يؤدي واجبات تملي عليها بسلطات مختلفة اهمها سلطة الدولة (الامارة، الحكم ، سلطات الدين، الكنيسة..الخ) لكن هذه السلطات تتقوضت مع نهايات القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين فأنفلت الفن ليكون لنفسه ومن اجلها فكانت الدعوات الكبرى التي أسس لها (كروتشه) ذات أثر مهم في فكرة (الفن للفن) وانتشر الانفعال الذاتي الفردي في الفن التشكيلي وكون اساليب واتجاهات مهمه حركة التشكيل تاريخياً ولأن الفن يتأثر لهذه الحركة التاريخية فانه قد عاش صراعات الانسانية التي انتجتها الحروب ومخاضات الاقتصاد الرأسمالي وصراع السلطات الكبرى على العالم حتى توافقت مع العولمة التي اطلق عليها فكرة الحداثة (هابرماس) في كتابه القول الفلسفي للحداثة او مانطلق عليها بمابعد الحداثة (جان فرانسوا ليوتار) في كتابه معنى مابعد الحداثة.

ان مايشاع في الخطاب النقدي التشكيلي ان العولمة ومابعد الحداثة متوازيان متفقان أمرٌ فيه من الصحة الكثير لكن لايمكن ان يكون متطابقين بالكامل لان الأداء مهما كان في الفن يعتمد الفردية على الرغم من الفكر البنيوي قد ابعده المنتج وقوض خطواته في الانتاج وأحالها الى نسيج مخاض ابستمولوجي حتمي لكن البنيوية رؤية واحده من مجموعة رؤى مختلفة تقوم آراء اخرى تجعل من الفن تداولياً وتأويلياً ، تداولياً في مركز وتأويلياً في مركز آخر ومتحركاً لا يمكنه الثبات في مركز ثالث أساسه تفاقم في العدمية التي مصدرها (فريدريك نيتشه).

ان توافقية العولمة في التشكيل مع مابعد الحداثة يعلن ان هذا الذي تقدمه ب(مابعد) ونكره كثيراً في خطاباتنا النقدية المعاصرة كما هو حال مابعد البنيوية ومابعد الصناعة ومابعد التاريخ ومابعد الانسان ..الخ من مايمكن ان يكون لانها في الاستحداث هذا كله يؤطر ضمن إطار العولمة(ليكرك ، ٢٠٠٤ ، ٣٣) . فماهي سمات العولمة في التشكيل المعاصر ؟ وهل قوضت الهوية والشخصية لدى الامم والشعوب في أدائها الفني الجمالي ام طورته وأنتمته وحولته من نمطيه ساذجة تكرر

ذاتها الى اشاعة اختلاف يعلن الايجابية في نتائج المختلفات ونموها ويسقط هيمنت
المقدسات الجائمة ؟

أنها اجابه تحتاج الى استدعاء النصوص وكشف تأثيرها في التلقي الفردي والجمعي.
والامر يرجعنا الى تاريخ الفن مرة ثانية وفلسفته ومن ثم التقييم الذي نختلف عليه
حتماً في عد النتاجات العظيمة الهامة على مستوى التاريخ افضل من نتاجات
الحدائث وما بعدها ام العكس هو الصحيح والامر يعتمد في الاجابه على مرجعية
فلسفيه تقدم الاجابة بسهولة فإذا كنت مفعم بميتافزيقيا كلاسيكية محافظة فأنت ترفض
وتلحن كل مافي الحدائث وما بعدها لكن فاجأنا (غاستون باشلار) في ميتافزيقيا الاداء
او التطبيق عندما حرك القيم المحافظة ليحقق لها دفقة حياة استلها من ديمومة هنري
بركسن فقدم للميتافزيقيا تكسير استمراريتها وتفاعلها الجديد وعندما تنتمي الى
مرجعات تجريبية تعتمد الخبرة والاداء والموضوعية والمنفعة (ان تكون برجماتياً
بالكامل) فأنت تقدم اللحن السفسطائي القديم بلغة جديده فسمح للحدائث وما بعدها ان
تمر تحت مظلة النفعية والموضوعية والأدائية لكن ما يعد مرجعاً كبيراً ومؤثراً
للخصوصية الذاتية لأننا المنفعلة التي قدمت الفن بخلص من رومانسيته
وكلاسيكيته ونفيعته وارتباطاته بما هو خارج عنه يتمثل في العدمية والغربة والحرية
الوجودية انها شرعنت ان ينتج الفن من القاذورات بل من فضلات الانسان الننته
وشرعنت ان تكون احديه فان كوخ نتغنى به ونزيع رومانتيكية الحرية تقود الشعوب



الاحذية فان كوخ



الحرية تقود الشعوب يلاكروا

انظر

انها مخاضات عولمية حققت ماتريد وتستمر في اشكال يقوض خصوصيتنا وهو
الهوية والشخصية والشعبوية او القومية او الدينية في نتاج التشكيل ولنبدأ مع الفن

العراقي المعاصر ونكشف هل انه قد بدء وتتطور بتأكيد الهوية العراقية ام هو في اضطراد نحو تقويضها ويكمن هنا الاختلاف في الرأي.

البعض يرى ان نتاج الفن العراقي في الخمسينات هو المثل الصحيح ، عن مواكبة التطور الحاصل في ميادين العالم ، فكانت العولمة والمثاقفة باب من أبواب التنوع الاسلوبي في الفترة المعاصرة ، فكان الاطلاع الواسع لرواد الفن الحديث في بغداد ، الاثر الكبير في التحول الاسلوبي للمواضيع والنصوص الفنية ، وهذا ما دعى للمؤسسات الاكاديمية من ارسال خيرة الفنانين العراقيين ليتعلموا ويدرسوا على يد اشهر الفنانين العالميين ، فضلا عن المعايضة المستمرة ، مما افرزت تلك الفترة مساراً جديداً ، في بنية الجمال الفني ذاته ، وكذلك في الاظهارية الشكلية لسطح العمل الفني ، على الرغم من افتقار تلك الفترة لعالم السوشل ميديا والانترنت والتقارب السريع لوسائل الاتصال الاجتماعي ، لكن في المقابل ، ان المتحول في ظاهر النتاج الفني وبنيته ، قدم لنا تغيير في المراكز الثابتة للنص الفني الجمالي ، وهذا الامر نجده عند الفنان كاظم حيدر ، عندما قدم لنا تحولات اسلوبية في اعماله الفنية ، في لوحته الشهيرة (الحمال) فكان مجرب من الطراز الأول ، فضلا عن الفترات الزمنية التي كشفت لنا تنوعاً اسلوبياً في اعماله ، فأضاف لعناصر اللوحة الفنية تعدداً في الخامات ، وعلى سبيل المثال المتغير في أدوات الاظهار وتكولوجيتها ، أدى الى تحول في مراكز كانت تعد قيمة عالية ومهمة (THEMES) اذ كان الخزاف يفتخر بخصوصيته النادرة في استدعاء وتحقيق لون خزفي معين ، على وفق الأسلوب التقليدي لتلك النتاجات ، وما كان في دائرة الخصوصيات ، فأحالتها الفنان بفعل التقارب العالمي وما انتجته من تحولات في أساليب الاظهار الشكلية ، مما اضطر من الخزاف المعاصر الى ابتكار عناوين جديدة في النصوص المستدعاة من الواقع المتاح ، مما أحال مركز القيم من حرفية الاظهار في الشكل التقليدي الى منظومة خزفية تنتج خزفيات بتشكيلات معاصرة تستفز المتلقي المنتمي للمجتمع العراقي ، وتقدم ابداعاً بالكشف عن الهوية المعاصرة بنصوص تخرج عن متداولها السائد .

التحول العولمي واقتصاد السوق في تداوليات الخزف المعاصر

ان التشكيلات في الفنون المعاصرة تحيل نفسها حتما الى موضوعة العولمة واقتصاد السوق لان عالمنا المعاصر الذي نعيشه عالما يعتمد اقتصاد السوق ، اذابت فيه الكثير من القيم والقوى الماضية واصبحت الضرورة في صراع البقاء لمن هو الاقوى ، وتشكلت القوى من حيث تحولها الى اقتصادية ظاهرها وباطنها في السوق والتسوق (عبد الحافظ ٢٠٠٥، ٢٢) ، وما نشاهده من حمى البناء الاسواق الكبيرة (المولات) الا صورة من صور هذه الظاهرة فضلا عن الصراعات العالمية الكبرى في التصنيع ومناطق انتشار الصناعة وتأسيس الاسواق الجديدة .

وقد يسال سائل ما علاقة السوق والعولمة بتداوليات الخزف المعاصر والتي تشكل موضوعة البحث ، السؤال وجيه عندما تكون المجابهة في هذه الاشكالية تغير الكثير من المفاهيم في بنية الجمال ذاته ومن ثم في بنية الاداء الفني التطبيقي واخيرا في دراستهما ، علاقة العولمة بفنون التشكيل ، ومنها الخزف ، فان الموضوع يعلن فهم ضواغط اقتصاد السوق ولا العولمة واثرها في نحت وتكوين الوعي والتذوق الجمالي و احالة الجمال من التخيل الميتافيزيقي المتسامي الخالص او النقي (بيور) او (الفنون الجميلة) في مقابل النتاج الخزفي المعاصر .

ان هذه الصراعات التي اسست اشكالية في الفهم والفعل بين ما هو جمالي خالص وبين ما هو جمالي ادائي تطبيقي اثرت في الدراسات الاكاديمية على المستوى الجامعي فضلا عن تأثيرها في تعلم وتعليم الفنون وتوجهها نحو اقتصاد السوق وتفاعلها المجتمعي

ان واقعية الحدث الجمالي الذي نعيشه في زمن العولمة تحتاج الى فهم وسطي بين عالم تسود به المتطرفات التي تقدمها المتصارات المتباينة في الفكر وتطبيقه (صيام ، ٢٠٠٥ ، ٨٧) ، فنجد من الماضي القريب الذي تسوده استقراره سوق ونظمه القديمة باتت يشوبها التوقف والاضمحلال بحدود خمسين الى مئة سنة ، اذ كانت الامور الاقتصادية والسياسية غير زمننا الحالي لان فكرة الاستعمار في الهيمنة قد تغيرت تغيرا جذريا عما في السابق اذ تتصف بالمجابهة والهيمنة

الاستعمارية براديكالية مباشرة تحقق الانتصار الذي يتمثل بصيغة العسكرية على نحو عام ، الا ان المتغير في اساليب الهيمنة الاستعمارية متغيرا واضح وكبير ومتخفاً لا يمكن مسكه على نحو مباشر حيث يدخل الى اعماقنا ويقلب الوعي انقلابات جذرية ويجعل ذواتنا اداة في الاستعمار من دواخلنا نحن،(درويش ، ١٩٩٥ ، ٢٢) انها العولمة التي انتصرت كواقع حال بفعل متغيرات تكنولوجيا وسياسية واقتصادية وعليه فلا بد ان تكون المجابهة بأدوات العقل التي تكشف وتستقرئ وتبرهن وتقيس الامور على وفق افتراضات معدة كي تخط طريقها الناجح للاستمرار في حياة مستقلة دون الاخلال بالهوية ومواكبة العصر على نحو متحفظ .

اننا نعيش في عالم فقد التثبت من الصحيح عن الخاطئ واندمجت وتداخلت فيه الكثير من المفاهيم ومن ثم فأنا نحتاج الى دراية ووعي عال لنجابه قوى الهيمنة علينا ، وهذه الدراية لابد ان تكون معتمدة على واقعا الموضوعي الذي يدرس من حيث معطيات متعددة اهمها قياس الحاضر والمستقبل الافتراضي بفعل احكام الحاضر وكلما كانت هذه الدراسات مكثفة كلما كانت قراراتنا في الاتجاه الناجح ، ومن هذه الدراسات كيفية مجابهة الواقعة والحدث فينا والعولمة واقعة وحدث موجود فينا وحولنا وهو امامنا مستقبلا فان ادركنا رؤوسنا عنها فأنها تجتاحنا اجتياحا لا يبقي من هويتنا وقيمنا شيئا وان تعاملنا معها كقوة لابد من وعي محركاتها وفهم توجهاتها وحساب افعالها وتفاعلاتها فقد نصل الى مرحلة تكون العولمة تحت هيمنتنا او نحيلها الى اداة من ادواتنا .

ويبدو بفعل المنطق الداعي الى المعاينة الموضوعية لقوى الصراع في العالم ان كون واضحين ومتفاعلين مع نتائج هذا الصراع ومن ثم نحاول ان نحديه بمستويات ابسطها الا يدخل هذا الصراع في جسد مجتمعنا ويحيل له الى جزء منه فنكون خاسرين ولهذا تحتم ان ندرس العولمة كواقعة او حدث يجب التعامل معه بحذر ودراية ومن ثم امكانية ان يكون جزءاً من نتاجنا المعرفي لا عليه ، وبذلك فان اشكالية الخيال والنظري والجمالي الخالص ازاء الموضوعي العملي البسيط المنتج اشكالية كبرى في زمن التنازع الحداثوي على وفق (فرانسوا اليوتار) (حنفي ، ٢٠٠٠

٥٦٩،) ، اذا ان هذا التنازع يقدم البقاء للأقوى والقوى هنا ليست العسكرية والحربية دائماً بل تنحصر في ان تكون القوى فاعلة حقيقة من حيث كونها منتجة وموضوعية التأثير لهذا فان الفنون التطبيقية ذات البعد العملي التنفيذي المباشر والمنتج هي الافضل للخطاب الفكري الفلسفي .

وعليه فان فنون التطبيق عندما تتاغي الجمال هي الاكثر موضوعية وعملية وادائية من الفنون الجميلة التي تنحصر بذاتها عندما يكون الهدف والغاية الانسان ومجتمعه بمجابه قوى العولمة التي تعتمد الاقتصاد ولاسيما اقتصاد السوق ، ان تقديم الفن التطبيقي على الفنون الجميلة لا يعني محو الفنون الجميلة واركانها جنباً بل يعني ان الحياة تستمر دون الجماليات الخيالية او بها ، فالفنون الجميلة خطأ موازاً، لكن الصناعة والزراعة والتجارة تحتم الفنون التطبيقية وتدعوا لها لكونها اداة تنفيذ وانتاج مباشر ولان الصراع الاممي اقتصادي اولا ومن ثم سلعي واداتي فان الفنون التطبيقية اكثر فاعلية في كسب هذا الصراع لكنها تستطيع ان تستدعي جزاً من الجماليات التي قدمتها الفنون الخالصة من الادائية العملية نتائج مخيلاتها وتوظفها توظيفاً ذكياً في خطوط انتاجها .

ان ظاهر العالم الان من حيث الطبقة المجتمعية يتشكل من طبقة كبرى مسحوقه و متوسطة وطبقة صغيرة جدا من ناحية العدد مترفه وتعيش حياة مخملية ولهذا فان الفن عندما يتوجه الى الطبقتين الاولى والثانية يتعامل بموضوعية وبرؤيه عملية ادائية منتجة بإنقاذ هذه الطبقات من العوز والامر لا يعني فقدان الحس الجمالي في المنتج الفني التطبيقي بل يعني استدعائه على نحو يكون فيه وسيلة او اداة لا غاية بحد ذاتها كما نجده في الفنون الجمالية الخالصة .

ان الطين الجمالي الخالص والتطبيقي العملي لابد لها ان يستمر ويتفاعل مع المجتمع على الرغم من ان الصفة المجتمعية للخط التطبيقي اكثر التصاقاً من الخط الجمالي بحكم فردية الاوسع بل ان استمرار الخطين بتوازي يعد ضرورة لان التفرد احدهما على الاخر يؤدي الى نقص كبير منقداً له ، فاذا فقدت الجمالي التطبيق والصفة الموضوعية العملية فانه يغرق في الخيال والمخيلة متوجها نحو اللامعقول

والعكس صحيح عندما يتفرد الفن بالتطبيقي والعملية والموضوعي يحيل نفسه الى فن خدمي صناعي تجد نكهة جمالية تحويلية فيه وازاء ذلك فان تفاعل خطين حتمية وضرورة منطقية ، لكن الشعوب التي تبغي النهوض والسمو في مجالات المعرفة على مستواها المادي كالصناعة والزراعة عليها ان تستدعي الفنون التطبيقية على نحو اوسع لأنها جزءاً من تطوير وبناء المجتمعات وبنيتها الاقتصادية ولاسيما في الصناعة .

الفصل الثالث

تداعيات الظواهر العولمية في بنية الخزف المعاصر

لقد أدى الغزو الثقافي الناتج عن العولمة الى خلخلة الشعور بالذات وتهوينها وانسداد الأفق امام تطورها وتعطيل امكانياتها واستبدال ذلك كله بتميط زائف ، فضلا عن الانسداد الثقافي في تأصيل الهوية وترسيخها عند اغلب الفنانين والخزافين المعاصرين ، مما يؤثر سلباً على النتاجات الخزفية وطمس الهوية ، وهذا مادعى الى ان تكون بعض من النتاجات الخزفية ونصوصها فاقدة الى بريقها التراثي والموضوعي للهوية الاصلية العراقية ، اذ نجد هذه النتاجات ابتعدت عن تمثيلها الحقيقي لبنية الخزف في الخامة والشكل وفي تركيبية المفاهيم والمعاني ، لكن هذا الامر لم يؤثر سلباً على الاجتياح الفكري الذي أصاب العالم فضلا عن التطور التكنولوجي الذي رافق هيمنة العولمة على النتاجات المعرفية بشكل عام والخزف منه بشكل خاص ، قدم تغيراً ملحوظاً في بنية الشكل الخزفي ، ومما افرزته هذه المتأقفة بأنها جعلت الظاهرة التي اجتاحت العالم ، بتراكمات تؤشر مرجعيات ، قدمت ثوابتها بضواغط انتاجها ، ومن ثم أصبحت بيئة خصبة ، يستلهم منها الخزافون المعاصرون عناوين ومواضيع جديدة ن تحاكي بمفهومها الحركات الحداثوية ، ذات الطابع التكنولوجي المتحول في أنظمة الشكل الفني ، هذه المتغيرات التي ، عملت على نحو مطرد في اختصار الزمن والمسافة بين الشعوب ، برغم ان دعوة الاختصار هذه ، قد اتاحت الفرصة لدى الخزاف ، في تقديم نصوص خزفية اعتمدت الرفض لكل ماهو متداول وسائد وشائع في حركة الفكر الفني ، اذ قدم

الخزاف نصوص خزفية تعتمد التجديد في الاحالات الشكلية في بنية الخزف ، منها الخامة والملمس والية التشييد والبناء ، انظر الشكل (١) والشكل (٢) والشكل (٣) ، بوعي يقرأ الية التشييد معاصرة محملة برؤية حدائوية ن تزدري وترفض كل ايقون متركز ، محققةً بذلك نسقاً جديداً في تحولات وعلاقات وأنظمة الشكل الفني ، ولتبسيط الامر نجد .



ان هذه القراءة الحدائوية لبنية النص الخزفي ، قدمتها العولمة بفعل الاجتياح الفكري ، للانقلابات التي حدثت في التطور الحاصل في أنظمة الفنون التشكيلية ، فأن هذه المتغيرات بحثت في هويات ثقافية جديدة أولها ، هو مواكبة التطور الحاصل الذي خلخل وقوض اساسيات الشكل التقليدي للفن التشكيلي المعاصر ، فكانت المحاولات الجريئة التي قدمتها التيارات الفنية في مطلع القرن العشرين ، بوادر تحول ، نتيجة ضاغط العولمة الذي اثر بشكل عام في الفكر العالمي ومنه الفن على وجه خاص ، فكان للخزف نصيب من هذه التحولات والأفكار الحدائوية بذرو منطلقات او كشرارات احيلت الى انفجارات كبيرة على مستوى الفكر ، ومن ما يتطلب الامر ، فان الخزاف الحدائوي استسقى هذه الشرارات المتغيرة والمشاكسة في الحقل الفني ، والذي عمل على نحو مضطرد ، من الانتقال من مرحلة الشكل التقليدي للأنية الخزفية (الفازة) الى نصوص قدمت استقزازها بجدلية التنوع الاسلوبي المختلف في مجالات الفن التشكيلي ، مما جعل من الخزاف الحدائوي يقدم خزفياته بمنظومة جديدة تقوض العلاقات المتشكلة للعمل الخزفي التقليد ، وفق رسومات ومعالجات على سطح القطعة الخزفية باشكال استسقت دلالاتها ومواضيعها بصيغة تمثلات

منتجة بطاقة معبرة ، تأثرت بالفكر العولمي ، وبالضواغط المحيطه به ، تضيفي في وقائعها تركيبية مفترضة من الواقع المتاح بأظهار عنصر الاثارة في العلاقات الشكلية ، فكانت منظومة الخزف ، تقدم قراءة إبداعية ، من خزفيات تعبيرية قدمت تنوعاً أسلوبياً ، تحقق بمنحائها ، بناءً ، يقدم ظاهريتها الشكلية ، بقصدية الاختلاف والتغيير ، بتفاعل وانفعال مع الوقائع والاحداث الجارية ، فكانت تمثلاتها الخزفية تستقرئ الواقع بعنوان التحول ، تظهر النصوص الخزفية وهي تلامس المفاهيم الاجتماعية الجمالية ، وتستدعي الحدث في زمانه ومكانه مواكبة بذلك كل المفاهيم والحركات العولمية بمختلف انتمائها ، لتكون اعمال خزفية تقدم اثارها لجمهور تلك الفترة ، من خلال وقائعها في الحدث المكاني ، فضلا عن تحقيق نظام تركيبى في تلك المواضيع الخزفية المتشكلة ، في استدعاء صور واشكال تناغي بمفهومها عناوين متنوعة سياسية واقتصادية واجتماعية ، انظر الشكل (٤) والشكل (٥) والشكل (٦) .

(٦)



les lawrence امريكي
١٩٩٨

(٥)



Shirt for matisse
1969

(٤)



Johnson-
Tsang2015

لكن المتحول في فهم العولمة ، ينطلق من التطور التكنولوجي ، الذي عمل على نحو مضطرد في التقريب بين الاشتغالات الفنية ، ومن هذا المنطلق ، نجد ان تقريب المسافة بين التحولات الاسلوبية للفنون ، قد أتاح الفرصة لدى الفنان او خراف

الفترة المعاصرة الى مواكبة التطور الحاصل في الأنظمة الفنية ، على الرغم من ان هذا التطور في الفنون ، له مرجعيات تأثيرية في الضواغط السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، مما دعا بالأمر الى ان تكون كل الفنون ، تتأثر وتتوثر في المجاورات من المعارف الأخرى ، اذ ان خزاف الفترة المعاصرة اخذ منحى متميزاً من خلال التطور العلمي في العلوم الصرفة ، فبدأت الاشتغالات الفنية تعمل على منظومة استدعاء لكل حدث او ظاهرة تؤثر في المجتمع فيعمل الفنان الى صياغة الفكرة وترجمتها على هيئة نصوص فنية تقدم تأويلات للمواضيع المشتغلة في الخزف ، وهذا يدل على الطابع الجمالي في فترة الاجتياح العولمي للفنون والذي لم يعد منفرداً في تسييده للنصوص الفنية ، بل من خلال الثقافة والتثقيف العولمي ، اصبح للخزف دوراً كبيراً في عملية الإنتاج الصناعي والوظيفي ، فظهرت لنا ابتكارات صناعية جمالية ، قائمة على نظام المؤسسات المنتجة للمصانع ، فضلاً ذلك عن ، ان خامة الخزف بدأت تستعمل لأغراض صناعية ، وتدخل في صناعة المواد الالكترونية والجزئيات الصغيرة ، اذا ان فن الخزف لم يعد مقتصرأ على صناعة الفازات والاوناني الفخرية التي تزيين لأغراض جمالية ، بل ان فن الخزف ، قدم مجموعة من الاعمال أصبحت ذات مصدرا ابداع لامتناهي وهذا مايجعل من الفنون في فترة العولمة امتزجت مع بعضها البعض ، وأصبحت فنون متداخلة ، فنجد نصاً فنياً .

أن تأريخ العولمة ومرجعياتها مع تاريخ الانسان ككائن يتصف بالبرجماتية اولاً و التداولية ثانياً وبالتواصلية ثالثاً وهذه الثلاثة يمكن ان نعدها من صفات الكائن البشري التي حققت له المنظومة المجتمعية ومن ثم المجتمعية المنفتحة التي يختلف بها عن التجمعات الحيوانية التي تشكل مجتمعات صغيرة منغلقة على ذاتها هدفها ضاغط البقاء كما في تجمعات الفيلة والذئاب والكلاب والقرود الى----الخ .

النتائج والاستنتاجات

١- ان فكرة العولمة تنطلق من عدها ظاهرة أصبحت حتمية تؤثر وتتأثر بالآخر ، من حيث انها ادلجة جديدة للمعطيات التي يقدمها الفنان من الانفعالات الداخلية

والأزمات التي ترافق كيانه مما تحقق له المشاعر بالحفاظ على كيانه الداخلي ، او كينونة وجوده كما قدمها سارتر بالدازين ، وهو الحفاظ علة هويتنا بكل ماتتعرض للضواغط الخارجية ، بمختلف مسمياتها المادية منها والمعنوية .

٢- ان فهم العولمة من قبل البعض من الذين يمتلكون عقولاً منغلقة ، جعل منها خطراً مخيفاً يهدد او يدمر النسيج المجتمعي ، بحكم تفويضه للمرجعيات الدينية والعقائدية ، مما جعل من الفنان او خراف الفترة المعاصرة ينفر او يبتعد من الاجتياح الفكري والفني المعاصر ، الذي يقدم نظرياته الجديدة ، من التطورات التي رافق العملية الفنية ، والامر غير ذلك البتة ، الا اذا أراد الفنان ان يعلن سقوط هويته الثقافية المنتمية للبيئة المحيطة به ، ويتبنى هوية جديدة تبتعد عن العادات والتقاليد الي يعيشها الفنان .

٣- ان فكرة العولمة ظاهرة حتمية وموجودة وتتعامل معها يومياً ونفعلها بسلوكيات بعضها مؤثر من الجانب الاقتصادي والبعض الاخر ثقافي تداولي ، وهذا التأثير حتما يقدم إضافة جديدة للفنان او خراف الفترة المعاصر ، طابعاً إيجابياً ويقدم التحولات الاسلوبية بتقنيات والساليب جديدة تضي على المستوى التعليمي منظومة متغيرة ومتجددة ، تعتبر تحدياً ثقافياً غير مسبوق وتعتبر ذات طابع ارتقائي قائم على الاجتياح الثقافي والفني .

٤- ان لكل ظاهرة عولمية تراكماتها التي تؤشر مرجعياتها ومن ثم ضواغط انتاجها ، أي بمعنى ادق منطقة عمل صغيرة او نتاجات فنية ضمن دائرة صغيرة ، تفعل ادواتها الإنتاجية ومن ثم تصبح بيئة خصبة لفنان الفترة المعاصرة ، لانها العولمة تتمثل في إحالة الظواهر الفنية المنتجة الى العالمية ، او تصبح الفنون ضمن التداول السلعي والانتاجي لتكون فنون منتجة تقدم ادائها الجمالي بحرفية الصانع الماهر والمنتج للابداع وفق ظاهريتها البرجماتية .

وعليه نجد ان العولمة تعد المحرك الأول للتجارة والفاعل ضمن نظام مؤسساتي قائم على احتضان الفنان وتهيئته ليكون فنان من الطراز الأول ، وهذا ما نجده في النظام المؤسساتي عندما يقدم الفنان العالمي نصوصه الفنية ، او من خلال التداول

العالمي في المشاركة في المعارض والمهرجانات والسمبوزيمات ، لتصبح حدث او ظاهرة يقدم منفعتها المرجوة عن طريق أداء درامياتيكية ، وتنتشر ضمن حقل النتاج الفني ، يحدد خصوصية الهوية المختلفة عن طريق تأصيلها باساليب وتشكيلات جديدة تضيف على الطابع العقائدي والديني تثبتات متغيرة ضمن دائرة التطور والتحول في الشكل فقط لا المعنى .

المصادر والمراجع

- ١- ابراهيم الحيدري؛ النقد بين الحداثة وما بعد الحداثة، دار الساقي، بيروت ، ٢٠١٢م، ٣٩٤
- ٢- ابن منظور :- لسان العرب ، دار صادر، بيروت ، ١٩٥٥، ج ١٢، ١٣
- ٣- جيرار ليكرك :- العولمة الثقافية ، ت،ر : جود كنور ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، لبنان ، ٢٠٠٤ ٣٣
- ٤- شحاتة صيام: علم اجتماع العولمة، (القاهرة، مؤسسة مصر العربية)، ٢٠٠٥، ٧٨.
- ٥- عبد الرشيد عبد الحافظ: الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها، (القاهرة، مكتبة مدبولي)، ٢٠٠٥، ٤٤
- ٦- عبد المنعم حنفي ؛ معجم شامل (المصطلحات الفلسفية) ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط٣، ٢٠٠٠م، ٥٦٩
- ٧- علاء الدين ناظوري ؛ العولمة وأثرها بالعالم الثالث ، دائرة المكتبة الوطنية ، عمان ، ٢٠٠١م، ٢١
- ٨- علاء الدين ناظورية :- العولمة واثرها في العالم الثالث ، دار زهران للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠١١ ٩
- ٩- كلاوس مولر :- العولمة ، ت،ر: محمد أبو حطب ، المركز القومي الترجمة ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٠ ، ٣٤
- ١٠- محمد سعيد أبو زعرور، العولمة وماهيتها ونشأتها ، دار البيارق ، عمان ، ١٩٩٨، ١٤
- ١١- نهلة أحمد درويش: العولمة وتغير أنساق القيم، سالة دكتوراه، غير منشورة، (جامعة القاهرة، كلية الآداب)، قسم الاجتماع، ٢